الفوبيا الجمعية وسخرية الأقدار
دراسة في رهاب الشخصية الروائية(أولاد اليهودية)
لتحسين كرمياني أنموذجا

م.د. سالم نجم عبد الله
قسم اللغة العربية
كلية التربية الأساسية / جامعة الموصل

تاريخ تسليم البحث: ٢٠١٢/٣/٢٧ ؛ تاريخ قبول النشر: ٢٠١٢/٥/٣

ملخص البحث:

تنطوي هذه الدراسة على رؤية نفسية للشخصيات الروائية والكشف عن كوامنها الداخلية في ظل مرجعياتها التي نشأت عليها وكان لها الدور المؤثر في تحديد سلوكها العدواني تجاه الآخر ومدى تأثير الذاكرة الجمعية في توجيه تصرفاتها وتعلقها بالحكايات القديمة التي تأخذ تشكيلا أسطوريا بحيث تخضع لها كليا وتصبح أسيرة لسلطتها بعد أن تتشكل بقوالب دينية وأعراف اجتماعية، كما تعالج هذه الدراسة صراع ثلاث شخصيات رئيسة تشكل كل واحدة منها محوراً مضاداً للآخر ممثلة بثلاث سلطات هي السلطة القمعية، والسلطة الدينية ثم السلطة الإنسانية ،هذه السلطات تبدو قوية ومتماسكة لكنها سرعان ما تتلاشى وتضعف بفعل الفوبيا المترسخة في داخلها وتصبح شخصيات هلامية تنتهي نهاية مأساوية.

وننوّه إلى أن دراستنا هذه قائمة على المنهج النفسي ،على أن لا يفهم منها أن مسار البحث يربط بين شخصية الكاتب وعمله ،بل أننا قاربنا التفسير النفسي من سلوك الشخصيات الروائية (الكارتونية) _على حد تعبير (بارت) – مع إقرارنا بأن هذا (السلوك الروائي) ما هو إلا صدى عن السلوك الإنساني ،وهذا يعني أن تطبيق المنهج سيقوم على تحليل العمل الأدبي نفسه بعيداً عن شخصية المبدع الإنسانية ،فهي معالجة إكلينيكية لشخصيات عُصابية.

Collective phobia and irony of fate : a study in the phobia of narrative character in " the sons of Jewish woman " for Tahseen Karmiani as a case in study

Lect. Dr. Salim Najam Abdullah
Department of Arabic language
College of Basic Education / Mosul University

Abstract:

The current study involves a psychological point of view for narrative characters , to reveal their inner circles given their backgrounds at their raise. Such backgrounds affected defining aggressive bahaviour

against the other. How collective memory affects directing their behaviours and clinging with old stories that is formed in a legendary way. The characters subject completely to them and becomes a prisoner of its powers after being molded in religious and social frames. The study also deals with the struggle of three main characters. Each of which is a contrastive axis. Each represents three authorities: suppressive, religious and humanitarian. These authorities appear to be strong and hold, but soon they get weak and vanish because of the deeply rooted phobia inside and end in becoming a jelly fish with tragic end. It is to be mentioned that our study is based on psychological approach. It mustn't be understood as an approach that joins the character of the writer and his book. More likely , we compared psychological explanation with the behavior of narrative characters (cartoonist) in Bart's expression . Never the less, we state that this narrative behavior is just an echo of human behavior This means that applying the course depends on analyzing the literarily text itself away from the humanitarian character of its creator. It is a clinical treatment for nervous characters.

قبل الطوفان:

الفوبيا (PHOBIA) أو الرُهاب مصطلح عَرّفه علماء النفس بأنه مرض نفسي يتمثل بالخوف الشديد والمتواصل من مواقف أو نشاطات أو أجسام معينة أو أشخاص ، و يؤدي هذا إلى شعور المصاب به بالقلق أو الضجر ويتنوع ما بين الرهاب البسيط كالخوف من العناكب أو من الحيوانات أو المرتفعات ، ونوع آخر يعرف برهاب الخلاء ،إذ يتخوف المصاب من الأماكن العامة المفتوحة والأماكن المزدحمة مما يجعله حبيس البيت ،أما الثالث فهو الرهاب الاجتماعي ،إذ يخشى المصاب الظهور أمام الجموع كي لايشعر بالإحراج أو التلكؤ في السلوك والتصرف ،وقد حُددت أعراض الفوبيا بشكل عام بالخفقان السريع في دقات القلب والتقلب في المعدة مما يؤدي إلى الغثيان والتقيؤ فضلا عن الاضطرابات الهضمية التي تؤدي إلى كثرة التبول والشعور بالاختناق والتعرق وما إلى ذلك من أعراض.[١]

وأما الفوبيا الروائية فتعني مجموعة العوامل والأسباب التي جعلت الشخصيات الروائية تتصرف بسلوك ينطوي على حالات الذُهان والعُصاب وحالات القلق والخوف والازدواجية في السلوك مما يجعلها منقادة إلى حالتها النفسية المتأزمة ،وأن هناك أسبابا جعلتها تتصرف على هذا النحو ،ومن ثَمَّ تشرعن تصرفاتها وتجد لها الأعذار ، وتعني أيضا عدم ترابط الأحداث السردية وتقطع أوصاله على نحو يشعرنا بأن شيئا ما سيحدث ،إذ يحيل

[١] - ينظر أصول الطب النفساني ،د.فخري الدباغ ،مؤسسة دار الكتب،جامعة الموصل ط٢ ١٩٧٧: ١٢٠ - ١٢٢وينظر الفوبيا ،عن الموقع الالكتروني:www.ar.wikpedia.org\wiki

الراوي سرده إلى مجموعة مقطعات مفككة أقرب ما تكون إلى الهذيان فيدرك القارئ أنه أمام مستوى سردي مرتبك إلى الحد الذي يثير الريبة والتوجس ،وهذا البناء جزء من عملية الإيهام السردي الروائي ،إذ يقدم الراوي الحكاية بطريقة مغلفة بالخوف والقلق مما يجعله يمازج بين بنية الحكاية وبنية السرد وإن ثيمة الخوف الحكائية قد بدت واضحة في ارتباك الراوي وعدم قدرته على البدء بصورة منطقية ، إذ يظهر الراوي _الذي بدا قلقاً أيضا_ باستحضار شخصياته على وفق هذا المعيار وكان راوياً مساوياً لشخصياته في علمه بالأحداث ،لكنه رسم المشاهد الروائية بمنظار الخوف من كل شيء بدءاً بالظواهر الطبيعية وانتهاءً بردهات المستشفيات ومشارط الأطباء.

تزخر ***رواية (أولاد اليهودية)*** [1] بعدة شخصيات مركبة تحمل في ثناياها هاجس الخوف الاجتماعي، وتتعدد مستويات ذلك الرهاب لكنها تصدر عن معين واحد يتمثل بمجموعة (تابوات) لها مرجعيات مختلفة متضادة ومتشابكة ، تبدو متباينة أحياناً لكنها لا تفتأ أن تغدو واحدة ،وقد شكلت كل شخصية محوراً نفسياً يمكننا أن نرجع دوافعه المرضية إلى عقدة الخوف من الماضي ومحاولة التخلص منه أو نسيانه على الأقل ،لكن لكل شخصية طرائقها التي نشأت عليها ومن ثَمَّ عبرت بكيفية معينة تلائم تلك النشأة.

ترتكز هذه الرواية على ***ثلاثة محاور*** خاضعة لسلطات متعددة ،فجاءت السلطة القمعية التي تسترت بقوة القانون لتبرز من خلفها شخصية ***(النقيب مالح)*** ،ثم السلطة الدينية وكانت ممثلة بشخصية رجل الدين ***(الملا صالح)***، وتقابل تلك السلطتين السابقتين السلطة الإنسانية ممثلة بشخصية ***(الغجري فالح)*** ،إذ تمثل الجانب الإنساني أو جدلية (الدين/الدنيا) التي تناقض السلطة الدينية وتتحالف / تخضع أحيانا مع/لـِ السلطة القمعية . وقد كوّنت هذه الشخصيات الثلاث رهابا جمعيا ،وهي صورة واحدة وإن بدت متضادة ، صورة بذرتها واحدة خارجة من رحم واحد ،ثلاثة أخوة فرقتهما الأقدار لتجمعهما مرة أخرى في مقبرة واحدة.

شكلت بؤرة الرواية (الرهاب الجمعي) هذه الشخصيات الثلاثة وجعلتها تخضع لعامل النقص الذي كان بنيتها الأساس ،ومن ثَمَّ كانت خاضعة لعامل الخوف الذي له مرجعية واحدة وهو الرهاب التاريخي المرتبط بالذاكرة الجماعية ويقترن بحكايات قديمة تحمل في طياتها الخوف والقداسة ،الخوف من الطبيعة ومن الحيوانات ومن الأمكنة ،ثم الخوف من السلطة القمعية التي تذكّر دوما بسطوتها، ثم تأتي السلطتين الدينية والإنسانية لتشكل محورين متضادين تجعل الثانية خاضعة للأولى بحكم الفطرة ورسوخ الدين في الضمير الإنساني

---

[1] - أولاد اليهودية ،تحسين كرمياني ، الرواية الحائزة على المرتبة الثانية في مسابقة الكلمة الثقافية . مصر (جائزة نجيب محفوظ) الدورة الثانية ٢٠١٠ الصادرة عن دار تموز ودار رند - دمشق

وتتماهى تلك السلطات لتولد مجموعة تابوات يخضع لها الجميع. ويمكننا أن نتمثل ذلك بالترسيمة الآتية:

فوبيا

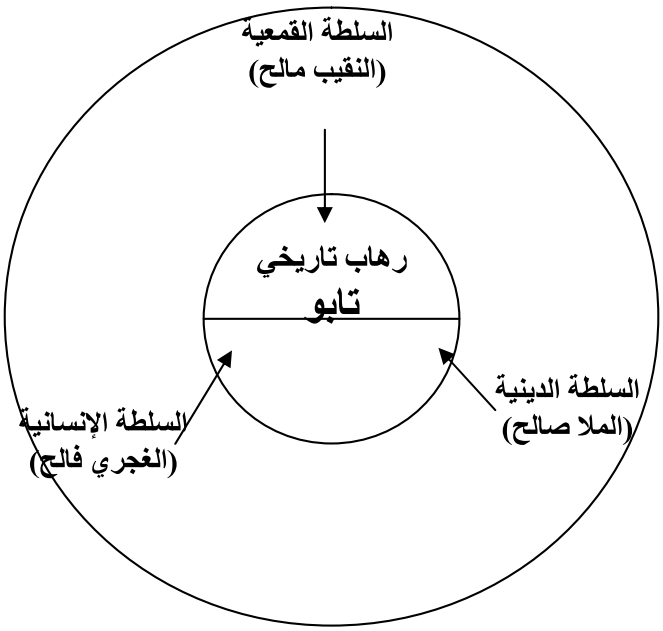

أولاً:(**البداية**)... **الرهاب التاريخي**:
الطوفان/الأسطورة/الموت

يمثل هذا الرهاب العامل الأساس في تحريك الأحداث ويعد بنية الخوف أو نواته ،فهو عامل القلق للسلطات جميعها ، ويكون السبب في زرع الفزع في قلوبهم،إذ أن لكل حدث حاضر قصة مشابهة له حدثت في الماضي وولدت نفسية مهزومة ترتجف بمجرد ظهور أشراطه ،لاسيما مع وجود عوامل مضافة بايولوجية تتمثل بالاستعداد الفطري للإنسان للخوف من المجهول ومن الظواهر التي يعجز عن فك طلاسمها، " **حدث ذلك** ...**بعدما دكت السماء بلدة** (**جلبلاى**) **بمطر استثنائي غير مسبوق** "[1] بهذه العبارة استهل الراوي قَصّه ،فمنذ بدء الحكاية كانت الأمطار_ رمز الخير في الذاكرات الإنسانية كلها _ تستحيل لعنة تدك النفس الإنسانية مع بدء العام الجديد ،فالقلق الروائي بادٍ على الراوي الذي كان الحلقة الأولى من حلقات الهذيان السردي ،مجموعة مشاهد مروعة غير مترابطة تشيء بالموت القادم ،سيول جارفة تأخذ معها دعوات الفقراء والمساكين ،شرارات نارية مصحوبة بفرقعات ،غضب الطبيعة لا ينتهي ،مشهد بانورامي مصحوب بأصوات الطبيعة الغاضبة ومغلف بالذكريات الأليمة عن الطوفان الذي سيدمر كل شيء إذ استعادت الذاكرة الجمعية الماضي السحيق والحكايات المنسوجة من أفواه العجائز عن غضب الرب على عباده ،بؤرة قديمة شكلت

[1] -رواية(أولاد اليهودية)،تحسين كرمياني ، دار تموز ودار رند – دمشق ط١ ،٢٠١١ :٥

مرجعاً ذهانياً ،فبعد قحط وبرد لأيام ثلاثة متتالية انتقمت الطبيعة من يوتوبيا مدينة خانقة(جلبلاء) وسلسلة جبال عقيمة (حيران) ونهر أعمى (دلبلاء)،بداية درامية عنيفة أشبه بالصدمة المروعة لتبدأ الفوضى الخلاقة، الفوضى الهذيانية التي تنم عن اضطراب (الراوي/المتكلم) في سرده الذي تقع عليه مهمة شائكة بين حيرته في اجتراء الماضي السحيق للبلدة ومحاولته التشبث برهان الحاضر . يشكل (الماضي/ الموت) الثيمة الرئيسة للاستهلال :

" مطر غزير لم يهطل منذ سنوات طويلة ،رغم توسلات لسانية لم تتقطع تطلقها أفواه فلاحين بائسين وأدعية تواصلت صعوداً عبر أكف مبسوطة ....قبل أن تقرقع معدة السماء، تضرب الحديد بالحديد ،بروق مرعشة تومض، شرارات نارية تتبع شرارات ساطعة تتناثر وتضمحل ،تاركة بالونات الحسرات تتدفق متحدة ..سيول مائية غاضبة..." [1] .

تحيل الصورة القاتمة لبلدة (جلبلاء) إلى أسماء أماكن غولية مغلفة بأسطرة غائرة في القدم ،فهي (جل البلاء) وهي الشر المستطير الذي يرتكز على أمكنة مغلقة متطرفة ،أرضية مستعدة فطرياً وتاريخيا لتقبل أحداث عنيفة تدور رحاها في فضائها المحصور في آخر العالم تحرسه أكوام ترابية حمراء هي سلسلة جبال (حيران) الذي حرفته الذاكرة الجمعية لسكان البلدة ولا يعرفون لمَ أطلقت عليه هذه التسمية ،" **حيران اسم حرّف من لدن ألسنة قالت بحقها ما تستحق ، عشوائية، أكوام ترابية قذفتها الطبيعة يوم التكوين بلا منفعة بشرية ،جبال ترابها أحمر، جربته أيدي نساء البلدة ،أردن عمل تنانير طينية ، تشققت قبل أن تمسها ألسنة النار**" [2] .ويمثل النهر في المخيلة الروائية والإنسانية: العطاء ،الحب، والخير، وقبل ذلك الانتماء ،أما نهر (دلبلاء) فهو شاهد صامت قافر ، ويحيل اسمه(دل البلاء) إلى حجم الخطر الذي يحيط بمن يقترب منه أو يتفاعل معه ، يبلع تراكمات البلدة وخوفها الأزلي ،يخفي الآثار كلها ويطمس الحقائق وهو شاهد على قطع الرؤوس وتفسخ الجثث،لكنه يبقى في صمته الأبدي، وترافقه وديان المدينة العقيمة إلا من الأشواك وبقايا الإنسان،" **تلك الوديان تغدو أوان الشتاء تحديداً ،غير العاطلة منها ،مسارات ممتازة لماء متراكم ينحدر بشكل مهول ، تجد (وادي الشوك) كما يحلو لبعض الناس تسميته ،أرض أشواك وعاقول ،لاشيء ينبت في ربوعها ،ذلك الوادي يصير مسلكاً ممتازاً للسيول الزاحفة ،مكان ممر وحيد ،يفضي بيسر، بلا عوارض طبيعية أو بشرية إلى نهر البلدة (دلبلاء)** "[3]

بهذه الصورة الشبحية المسكونة بالفناء يقدم الراوي وصفاً مكانياً قاتماً فيه رهاب الماضي وعُصاب الحاضر ،فيه الحكايات القديمة المغلفة بعبق الأساطير التي تجد تفسيراً للخوارق الطبيعية كلها التي لم يستطع عقل الإنسان أن يفسرها فخلق حكايات توارثتها الأجيال

---

[1] -م .ن :٦

[2] - الرواية: ٦

[3] - م.ن :٧

وأصبحت بعد ذلك حقائق أثيرة عبر الأزمنة ، فالأسطورة دالة زمانية تذكرنا دائما بتكرار أحداثها ،ذلك العود الأبدي الحاضر دوما في الذاكرة[1] ،حكايات قديمة تنقلها الألسن وتغلفها بطابع ديني لتنثر القدسية عليها وتربطها ببدء الخليقة في أيامها السبعة ، " **تقول الحكاية: قبل أربعة وعشرين سنة فاض النهر،غرقت بيوتات ،صعد الناس إلى الجبال لأيام سبعة،.....يستذكرون الحكايات ،ما جرى لأجدادهم القريبين مات خلق كثير خنقا .....أصوات تتداخل ،والناس سكارى وحيارى تهيّئ نفسها لمحاسبة تاريخية جديدة**"[2] .لم يكن توظيف الراوي للأسطورة هنا لبيان مرجعيات الحوادث أو انتسابها إلى ذاكرة التاريخ بقدر ما كان التوظيف للكشف عن رواسب النفس الإنسانية وتعريتها وإفراغها من غلافها التعسفي الذي تتستر به.

تمثل الذاكرة في هذه الرواية رهاباً تاريخياً يتبلور بحلقات عدة لتشكل كلها فزعاً ماضوياً ،فكل ظاهرة آنية تحدث في البلدة لها مرجعياتها الأليمة المغلفة بحكايات مؤسطرة، ***وتتمثل بـــ:***

* ***فوبيا الحيوانات:*** ينتمي هذا النوع إلى (الرهاب البسيط)[3]، فالخوف هنا ناتج عن حدث قديم أو تجربة حدثت في أيام الطفولة ، فالطفل الخائف من قطة بيضاء خدشته قد يخاف بعدها من القطط جميعها، أو من اللون الأبيض تحديداً [4] ، وعند مهاجمة الكلاب بلدة (جلبلاء) ونباحهم المستمر شكل ذلك هلعاً للأهالي على الرغم مما يشكل ذلك الحيوان من تآلف مع الإنسان ،لكن ذلك الرهاب ارتبط بذكريات مجسمة ظلت ماثلة في الأذهان " **استفاقت الناس... نباح بدأ مع الضياء الأول للفجر وصفوه فيما بعد بـ(هدير الكلاب) ظل يتموج مع كل ريح مهما كانت درجة شدته، نباح يسكن الصدغين ،يخثر العينين،يلقي الأجساد أسيرة...**"[5] . ارتبط هذا الخوف من الحيوانات بحكاية قديمة _لاينسبها الراوي لأحد _ عن هجوم سابق لذئاب فتاكة جائعة ،لذا جسّمت المخيلة صورة الكلب وجعلته ذئباً عاد من جديد، لاسيما مع وجود الأصوات (العواء) الذي شكل فزعاً آخر " **ذئاب داهمت البلدة ذات زمن ،حكاية سمعوها من الأجداد ،عرفوا حصول مجاعة كبيرة في بلدان الجوار ،دفعت الذئاب تهيج بحثا عن أرزاقها،وصلت ليلَ البلدة،عوت بشكل غير وارد ، اجتاحت قبيل الفجر بقليل بيوت تملك**

---

[1] -ينظر، مضمون الأسطورة في الفكر العربي ،د. خليل أحمد خليل ،دار الطليعة،بيروت،ط٢ ١٩٨٠ :١٢

[2] - الرواية:١١

[3] - ينظر :الفوبيا .عن الموقع الالكتروني:www.ar.wikpedia.org\wiki

[4] - ينظر،أصول الطب النفساني: ١٢٠

[5] - الرواية:٥٠

أغنام ،أبقار ،دجاج ،أخذت كل ما موجود ،تركت قتلى ،خراب ،من يومها بدأت البيوت تسيّج نفسها بالحجر خشية مداهمات تالية"[1]

** *فوبيا الإشاعات:* تمثل الإشاعات بأنواعها كافة رهاباً جمعياً لاسيما المتعلقة بالأمراض والجراثيم التي تثير الهلع لدى أهالي البلدة وهي جزء من الحرب النفسية التي تمارسها السلطة القمعية للسيطرة عليهم ومن ثَمَّ إخضاعهم ،وتستخدمها أيضا لتعبئة الرأي العام ضد الدولة التي تحاربها وتجد لذلك صدى واسعاً عبر تناقل الأهالي لتلك الشائعة وتضخيمها لتبث الفزع في البلدة لاسيما في ظل نفسية منكسرة مقهورة تعاني اقتصادياً وثقافياً من قصور واضح وتخلف بحيث تصبح الإشاعة غولاً فتاكاً يضرب بجناحيه تلك العقول العصابية ، "**تنامت شائعة في البلدة ،قيل إنها إشاعة مستوردة نثرها رجل غريب ،تقول تلك الشائعة :عصابات مافيا تصنع جراثيم فتاكة ،تنشرها عبر وسائلهم الشيطانية ،في بلدان غنية بالنفط والمشاكل ، مع الرياح ،داخل الأغذية المعلبة ،مع الأمطار ،كي تبيع مضادات لها ،مهيأة تم صناعتها سلفا"[2]** . وتُستغل الشائعات أيضا في الكشف عن الجانب الأخلاقي للعدو وتجريده من إنسانيته لتضمن الخضوع الجماهيري لها وتجعلهم يدافعون عن قضية إنسانية أخلاقية بعيداً عن المكاسب العسكرية أو السياسية لأنَّ عدوهم لا يستهدف إلا البشرية ويعمل على فنائها ،" **في البلدة شاعت شائعة ،العدو ألقى على الناس جراثيم إبادة جماعية،.....الحكومات الحديثة تخاف على إنسانها ، ... وجدت سبل حديثة لقتل العدو بشكل مريح ، ....تقوم طائرات خاصة برش مساحيق طيبة المذاق من الفضاء على جيش عدو متأهب لهجوم مباغت ،جيش العدو يشعر بخدر الجسد ،...الكل ينام ،لا احد يصحو من تلك (الرقدة الكيماوية)** "[3] .

*** *فوبيا المكان:* يمثل المكان أحد العوامل المهمة في توفير الحماية والأمن لقاطنيه ،إلا أن تحوّله من حالة الأمن إلى حالة الرعب يشكل انعطافاً جذرياً،لاسيما إذا ارتبط *ذلك بالرهاب منه* في الأماكن العالية أو المظلمة أو الخلاء أو إذا سكنته بعض الحيوانات الضارية . وتظهر وحشية المكان أكثر إذا اقترن بذكريات أليمة كأن يكون معتقلا أو جرت فيه معارك ضارية وسقط فيه قتلى ، وتقترن فوبيا المكان من جغرافيته أحيانا فالأماكن الضيقة أو ذات الألوان الداكنة أو الكهوف الصخرية تشكل رهاباً مضافاً وكابوساً ثقيلاً ،إذ تشكل الأماكن المفتوحة أيضا فزعاً إذا اقترنت بتلك العوامل فتستحيل أمكنة غولية جاثمة تدك النفس الإنسانية على الرغم من فسحتها الجغرافية وفضائها المفتوح ، ويؤدي كل ذلك إلى الخوف الشديد فيشعر ساكن ذلك المكان " باضطراب عام ،ويعمل الجهاز العصبي الذاتي بشدة ،فيضيق الصدر

---

[1] -م.ن: ٥٦

[2] - م.ن: ١٦٩

[3] -م .ن: ١٨٧ -١٨٨

ويحل الشعور بالاختناق ويزداد الخفقان والتعرق الشديد والوهن العضلي والآلام في الأحشاء" [1].يشير الراوي إلى خاصية الأمكنة في بلدة (جلبلاء) ويحولها إلى يوتوبيا غريبة ، فأرضها متمردة ووديانها مهملة تسكنها الأخاديد المملوءة بالأوساخ التي تنقلها إليها الرياح الدائمية،أما جبالها ،" **ترابها أحمر ،جربته أيدي نساء البلدة ،أردن عمل تنانير طينية ،تشققت قبل أن تمسها ألسنة النار. جاءت أيدي ماهرة رغبت أن تصنع من تراب الجبل مادة (الجص) ،لم يدم الطلاء طويلا على جدران المنازل ،تناثر إلى رذاذ أبيض ،خانق وحريف ،قبل أن يتم نهائيا صرف النظر عن سلسلة جبال تراكمت نائمة منذ فجر التاريخ ،اعتبروها جثثاً ستتفسخ بمرور الأمطار**"[2] .

ويمثل الخوف من المكان المغلق أنموذجاً آخر للحالة النفسية السيئة التي تحياها الشخصية ،ومثلت إحدى غرف العزل في المستشفى التي رقد فيها(الغجري فالح) كابوسا ينفخ الرعب فيه ويحيل الغرفة قبراً بارداً، " **في العاصمة أدخلوه إلى رواق طويل،قاده شخص يرتدي ملابس بيضاء ،أدخله ردهة،فتح باباً حديدياً أدخله ،وجد الرجل النحيف نفسه في غرفة صغيرة ،أغلق الباب عليه ،تقدم من الباب ، في فتحة صغيرة ،في مستطيل بحجم علبة سجائر ،نحت عينيه ،أراد تفسيراً لحالته ،متوقعاً هجوماً آخر وشيك الوقوع منه** " [3].

في هذا المكان(بلدة جلبلاء) القاتم الغارق بظلمات الطوفان بعد قحط كبير تجاوز سنواته التسع يجمع القدر ثلاث شخصيات متضادة/متصالحة ،يُظهرها الراوي بصورة تبدو عفوية وغير منسقة، بل تبدو كأنها شخصيات هامشية لا فاعلية لها ،لكنها لعبة سردية إيهامية تنثر الشخصيات بصمت وتلقي بها بعد ذلك في خضم الأحداث ليكشف القارئ أنها بؤرة الصراع ، إذ تمثل تلك الشخصيات ثلاث سلطات تشكل فوبيا جماعية مركبة وتتبادل الأدوار مع بعضها ،فهي تارة تنشر الخوف ،وتكون ضحية له تارة أخرى، خوفها يبدأ أولاً من نفسها ومن بقية السلطات المترافقة معها :

١_ السلطة القمعية/القانون

يمثل (النقيب مالح) هذه السلطة ، شخصية عصابية مصابة بعقدة مركبة تظهر في سلوكها وعلاقاتها مع الآخر،ومتسلحة في الوقت ذاته بسلطة القانون العسكري الصارم ، تنشر الخوف حولها ،تمارس القمع بأنواعه كافة ،عمياء في إطاعتها للأوامر الفوقية ،تحمل مركبات نقص عديدة تجعلها فاقدة لإنسانيتها ،يمثل مملكة الخوف في بلدة (جلبلاء) يقدمه الراوي

---

[1] - ينظر ، أصول الطب النفساني:١٢

[2] - الرواية :٦

[3] -م . ن :١٨٠

نموذجاً سيئاً متناقضاً يحمل ثنائيات التضاد التي تجعله مصاباً بالانفصام لاسيما في الأوقات التي يخلو بها مع نفسه،يحمل اسمه رمزية واضحة فـــ(مالح) يمثل بعداً سلطويا وفساداً سياسياً أفسدت ملوحته أرض جلبلاء ، ومن الواضح أن استخدام الرمز له دلالة تفسيرية _كما يرى فرويد_ ،إذ يفسر العمل الأدبي بإطلاقه على شيء منظور ليعطي للعقل صورة التماثل لشيء غير مرئي وفهمه قائم على تداعي هذين الشيئين[١].وظيفة (مالح) الأمنية مكنته من بث سلطته وكان يمثل الحلقة الأخيرة من حلقات ذعر أكبر متمثلا بالسلطة الفوقية ،لذا كان أهالي البلدة يخشونه ،تلك الشخصية كانت محكومة برواسب الماضي ورواسب الطفولة ونظرة المجتمع إليها ، فـــ(مالح) ابن لقيط لا يعرف له منبع ، وكانت هذه العقدة الدافع الأول لسلوكه العنيف ،فشعوره بالنقص وفقدان الأسرة كان يمثل الضياع الأكبر وقد حاول أن يعطي صورة أخرى لذاته المتكسرة المشحونة بذكريات الماضي الأليمة ،صورة القوي المغرور بنفسه الذي يشبع رغباته ونرجسيته بخضوع الآخر له ، وفي حقيقة الأمر أن دونيته والشك في نسبه هما المحركان الأساسيان لعُصابه ،ويرى (الفرد أدلر) صاحب مدرسة علم النفس الفرويدي أن الشعور بالنقص هو السبب الرئيس في حدوث العُصاب فيحاول أن يبرز ويتعالى ويسيطر على الآخر[٢] ، فشخصية (مالح) تحب غريزة الظهور والسيطرة والرغبات اللاشعورية بحكم الطابع البايولوجي الوراثي ،" **ذهب الملا (صالح) إلى النقيب (مالح) وجده يجلس على كرسي أمام البناية المركزية التي تتربع صدر السوق ،لم يقم الرجل العسكري من كرسيه ،كان يتمتع بطبع سيادي ،دائماً ينظر إلى الناس رعايا تحت وصايته**"[٣] .فهذا التصرف هو جزء من مجموعة رغبات مكبوتة (لبيدو)- على حد تعبير (فرويد) - قد تتجه إلى الآخرين لتحمل العدوانية ،أو من الممكن أن ترتد الى الذات فيغرق الفرد في حب نفسه وهو ما نطلق عليه بالنرجسية(narcosismc)[٤] .

وتميل شخصية (مالح) إلى صفة التلذذ بعذاب الآخرين لتغطّي بتلك الصفة نقيصةً أخرى، فهو بانتقامه وتلذذه بعذاب الآخر إنما يعبر عن انتقامه من المجموع ومن نفسه أيضاً ويحصل بعد ذلك على الشعور بالراحة ،وأحد عوامل الإشباع الغريزي إيذاء الآخر والتمتع بهذا العذاب إلى الحد الذي ينتج عنه نوع من التنفيس وإطلاق المكبوت الذي كان يربك جهازه العصبي ويؤثر في سلوكه ويجعله لاعبا أساسيا في المنطقة المحرمة، وهو ما يطلق عليه

---

[١] - ينظر ،المذاهب النقدية –دراسة وتطبيق -د. عمر الطالب،دار الكتب للطباعة والنشر،١٩٩٣: ١٣٥

[٢] - ينظر، التحليل النفسي والفرودية الجديدة ،فاليري ليبين ، تر:نزار عيون السود،دار الوثبة ،دمـــشق ١٣ - ١٤

[٣] -الرواية:١٥ -١٦

[٤] - ينظر،الشخصية في ضوء التحليل النفسي،فيصل عباس،دار المسيرة ،بيروت ١٩٨٢: ١٠

فرويد بـــ (السادية sadisme)[1] ، " **اندفعت المركبات مرتبكة رافعة أصوات صريخها باتجاه منازل تلك الفئة التي كانت متواجدة في فناء الجامع ...وجدت المنازل مهجورة ،ليس بوسعهم العودة من دون غنيمة ... نقلوا عشرين شابا ملتحيا ،زجّوهم داخل زنزانة ،تقدم نفس الشرطي الذي تلقى الأوامر ،وقف أمام النقيب بشيء من الفخر قبل أن يتكلم قال النقيب :ـ حسنا فعلتم ،كنت أتوقع عودتكم بقرابين تسلية ....بعد مرور أسبوعين على احتجازهم في احتفال تعذيبي غير معلن اشرف على حلاقة وجوههم نتفاً وسط صرخات واستغاثات**"[2] .

وتبدو دونيّة (مالح) وسادّيتها أكثر حين يمثل بجثث ضحاياه في احتفاليـــــــة صاخبة " **تراشقت البنادق ، سقطت الأجساد الستة، سحلوهم بمركبة مسلحة داخل الأزقة ،تمزقت أجسادهم إلى قديد لحم مبعثر شبعت منه قطط البلدة ودجاجاتها**"[3] ،كما يمارس (مالح) الترويع بشقّيه الفردي والجماعي ، وهي سلطة أخرى ووسيلة قمعية تشيء بقوة إلى التأزم النفسي واحتقار الآخر ،صورة باطنية لإرهاب مسجونيه ،فقد مارس الترويع الفردي ضد (الملا صالح) وإحدى نساء البلدة بعد أن اغتال أحد أطفالها ،ثم قتلها بعد ذلك. أما الترويع الجماعي فقد كان جزءاً من سلطته القمعية تتم عبر شن الحرب النفسية ، فيستخدم مكبرات الصوت وصفارات الإنذار وحظر التجوال ليبسط سلطته ، " (**حظر تجول**)**جديد** ،**من غير بوادر أولية في البلدة** ،**عيون تترامق** ، **آذان تبحث عن سبب منع خروج الناس من البيوت**"[4]، ويتخذ الترويع شكلا آخر أكثر قساوة ، إذ يمارس (مالح) هوايته التلذذية بإلقاء رؤوس بشرية مقطوعة على سجنائه لبثّ الرعب فيهم وإخضاعهم، " **نقلوا الرأس في كرتون ورقي إلى النقيب (مالح) لم يهتز له عصب ....أمر بوضعه في كيس نايلون ونقله ليلا لإلقائه في النهر ، قام حارسه الشخصي بما أمر به سيده ،تقدم من الباب ،قبل خروجه ناداه النقيب ، استدار ثم تقدم منه ، همس : ضعه بين المسجونين حيـــن يأتي الليـل ...**"[5] .

ويمثل(***العُري***) أحد وسائل سلطة القمع ،وهو تعذيب نفسي شديد يحطم تقاليد الضحية وأعرافها ويُعد مساساً صارخاً بالذات الإنسانية ، وفي حقيقة الأمر إن شخصية (مالح) هي العارية ،فهو بلا غطاء أسري أو مجتمعي ،يجد نفسه وحيداً ليس له أصدقاء في البلدة ، ويلمح الراوي إلى شخصية (مالح) العارية عبر سلسلة إجراءات سردية تفصح عن شخصيته المهزوزة من الداخل التي تستند في سلطتها إلى قوة القانون وأزيز الرصاص ،" **قبل انهيال**

---

[1] -م .ن :١٠

[2] - الرواية: ٣٠-٣١

[3] -م.ن: ٦٢

[4] - م.ن : ٥٤

[5] - م.ن : ٤٩

همساتهم كهطول الحالوب على طاولة النقيب (مالح) عبر نافذة غرفته التي لا يغلقها أبدا لسبب وجيه جدا ،كون نوافذ دائرته بلا زجاج"[1] ، وتبدو شخصية (مالح)أكثر عرياً عندما يلقي بامرأة بعد تعريتها في سجن الرجال عقاباً لها ،ويشكل هذا تحدياً للأعراف والتقاليد الدينية لاسيما في بلدة مثل (جلبلاء) تُعد المرأة فيها من التابوات التي يمنع ظهورها بين الرجال وبذلك يدخل دائرة التأزم الهستيري وتظهر دونيته، " **صاح بصوت خشن على حراسه، وصل شرطيان : قال لهما : ضعوها عارية بين الرجال، لم تتمالك المرأة نفسها أطلق صراخها ، الشرطيان واصلا سحلها وهما يمزقان ثيابها ،صاح من جديد حراسه ،دخل الشرطيان وقفا أمامه ،قال لهما : هاتوها ،خرج الشرطيان ، ردحاً من الزمن ،عادا واجمين تمتم أحدهما : سيدي ماتت ،...فاضت روحها بين الرجال. أشار لهما فخرجا ،جلس ينقر بسبابته الطاولة في محاولة مرتبكة لنسيان ما جرى**"[2] .

هذه الصورة البشعة لشخصية (مالح) الموسومة بالجريمة والسادّية والتعذيب النفسي ما هي إلا صدى لفقدان الرابط الاجتماعي والأسري لديه وسرعان ما تتساقط ويظهر الوجه الآخر لها ، إذ يمثل الوجه الضعيف الخائر القوى فـــ(مالح) أحد صور المجتمع الذي ينظر بريبة وتوجس إلى اللقيط ، فمن خلال الاسترجاع الزمني تتكشف شخصيته الوضيعة ويتذكرها (مالح) وهو طريح المرض المفاجئ الذي عزله عن وظيفته وسلطته ،إذ أراد أن يخطب (وداد) تلك الفتاة التي أحبها ،لكنه صعق عندما عرف حقيقة نسبه ، " **في تلك الليلة عرف الحقيقة كلها ،صارحه والد (وداد) بكل شيء ،عرف منه ،لا أب له ، لا أم له، أبن عائلة غير موجودة على جغرافية الأرض ،وربما بين أروقة الزمن أيضا ، لابد أن رجلًا ما قذفه ذات شهوة حرام في رحم امرأة عاقة ،لابد تلك المرأة عانت المخاض ،قذفته إلى سفينة الشقاء ليواجه أعاصير الحياة بمجداف اليتم... وجده الرجل _كما أسر له سيرته _ذات صباح مرمي في بقعة عشبية**"[3]،وهو بهذا يحاول أن يغطي مركب النقص الذي سكنه منذ الطفولة فسعى لإثبات وجوده ،فحرمانه من الجو الأسري أدى به إلى ذلك الإحساس بالنقص ودفعه هذا إلى التعويض المبالغ فيه ،ويعزو (أدلر) أسباب النقص في شخصية الإنسان إلى الأسباب العضوية أو الوظيفية أو التي تنجم عن التربية الفاسدة أو وضعية اجتماعية مريبة[4]، وهذا ما جعل (النقيب مالح) يلجأ إلى بناء سلطة ذاتية تحميه من العار الذي لحقه من نفسه ومجتمعه فعوض بمنصبه العسكري ضعفه لاسيما ذلك المنصب الذي يحمل في طياته العنف والسيطرة على الآخر بحكم السلطة التي يحملها بعيداً عن أي ارتقاء علمي أو ذكائي .

---

[1] - م . ن: ٥٧

[2] -الرواية : ٢٥-٢٦

[3] - م.ن : ١٣٠

[4] -ينظر ، المذاهب النقدية –دراسة وتطبيق - :١٣٧

ارتبط التشكيل النفسي لشخصية (مالح) بمرجعيات النشأة الأولى وحاضرها من جهة أخرى ،فقد وجدت لها حاضناً يخفي عيوبها ،وتمثل ذلك بالحاضن السلطوي العسكري ،لكن ذلك الستار الحديدي سرعان ما تهاوى وتحول إلى سلاح مضاد للشخصية ذاتها ،ومن هنا تبرز تلك العدوانية ، فقد " حرص معظم علماء النفس على تقرير أهمية السنوات الأولى من حياة الطفل في تحديد سلوكه المستقبلي،فالطفل الفاقد لحنان أبويه في طفولته المبكرة أو الذي لا يجد له علاقة عاطفية ثابتة تتخذ علاقته مع الآخر طابع السادّية أو المازوخية ،ومن ثَمَّ النزوع نحو الجريمة."[1]

الانهيار:

إذا كان الوجه الأول لشخصية (مالح) قوياً متسلطاً ،فإن الوجه الآخر له كان الحلقة الأضعف في شخصيته ،وهو الجانب الحقيقي ،فقد أزيلت العوامل التي أعطته القوة(المنصب العسكري، السلاح ، الوضع الأمني) وأبدلت بعوامل الانهزام (مرضه الخبيث، إعفاؤه من منصبه ، نفسيته المتأزمة) ، ومن هنا نجد التبرير المنطقي لثنائية القوة/الضعف وظهور النفس الإنسانية على طبيعتها بعد تجريدها من أسلحة القوة ،فقد كان طغيان الشخصية حاضراً في المخيلة السردية للراوي وكان يقدم الأدلة المتواترة على ذلك إلى أن جاءت نقطة الانحراف فبدأت الشخصية بالتلاشي وانتهت بالموت.

وتظهر الإشارة الأولى على انهزام شخصية (مالح) قبل إصابته بالمرض الخبيث ، إذ يضعف أمام قوة أخرى جابهته كثيرا ،تلك القوة هي شخصية دينية تمثل سلطة أخرى ممثلة برجل الدين (الملا صالح) فقد كان الصورة المناقضة لـــ(مالح) وقد كان اللقاء الأول بينهما قبل سنوات طوال عندما كان (الأول) جندياً في معسكر الضابط (مالح) وكان يمارس العنف ضده ،" **في ذلك الأصيل ،حتى مغرب الشمس ،تسلى الضابط (مالح) بجندي مستجد ،مرّغه في التراب ،راح يدخله الجدول المائي ،يخرجه ،يلقيه مرة تلو المرة في التراب ،قبل الغروب بدقائق أمر الحلاق بحلق رأسه (نمرة صفر) ،ألقاه في السجن ثلاثة أيام بسبب كلمة عشوائية خرجت من فمه**"[2] ، ثم يشاء القدر أن يلتقي به بعد سنين طويلة ويمارس معه الدور نفسه ،لكن (مالح) يجد نفسه أحياناً ضعيفاً ومهزوماً أمام عدوه القديم الجديد ، وهو يستغل أي موقف تسلطي ليشجع نفسه أمام خصمه ، " **أدرك النقيب،غريمه تنازل كلياً عن قيمه الجهادية ،تخاذل لا يرغب المقاومة،فرح غمره ،حقق التعادل الشخصي لذاته واستعاد**

---

[1] - الجريمة والمجتمع ،زكريا إبراهيم ،مكتبة النهضة المصرية (القاهرة) ١٩٥٨ :٧٦

[2] -الرواية:١٣٨

اعتباره المسلوب يوم حقق (الملا) نصراً لسانياً عليه ،يوم تركه مهزوماً رغم رهطه المسلح بالبنادق ،فهو صارع كوابيس كثيرة"[1] .

وكانت الحلقة الأخرى من عوامل ضعفه هي فقدانه لحبيبته (وداد) التي لم يظفر بها ، ثم جاءت الحلقة الأقوى في انهيار (مالح) ،كان المرض الذي فتك به وعزله من منصبه العسكري ،ومن هنا تبدأ الشخصية بالتفكك والتلاشي ،فقد جردها المرض من عوامل القوة كلها، بل أن رؤيتها اختلفت تماما وأصبحت سجينة للوساوس القهرية والكوابيس المزعجة ،كوابيس ضحاياها ،وقد وظف الراوي أكثر من تقنية لتعرية الشخصية ، من أهمها : الكوابيس والهلوسة، والرؤية الضبابية /البصرية للأشياء:

أ_ الكوابيس والهلوسة :

وظف الراوي الكوابيس وما يرافقها من هذيان وهلوسة ناجمة عن الشعور بالذنب نتيجة أفعال ارتكبتها الشخصية ،وبقيت تطاردها في أثناء مرضها واستسلامها لحقن التخدير فتغيب عن الوعي ويبدأ العقل الباطني بالتحرر والانفلات ليشكل ثقلاً مضافاً وتتبادل الأدوار مع ضحاياها ،فتغدو الضحية بعد أن كانت الجلاد ، فقد كان (مالح) يشارك في حفلات الإعدام ويطلــق (رصاصة الرحمة) الأخيرة على الضحية ، وهو الآن يرى الضحايا يمارسون الدور نفســه معه ، " **خمسة أجساد، طويلة ، نحيفة ، تبث شكوى ، واحداً واحدا هبطوا ، وقفوا إزاءه ،كل شبح مدّيداً فيه مسدس،كل مسدس أفرغ حفنة رصاصات فيه ، وجد نفسه يتفتت، يتلاشى**.... "[2] . وتدخل الشخصية في هلوسة نتيجة التأثر العصبي الذي جعلها فاقدة لوعيها ،وهي تنشأ عندما يشعر المريض بأحاسيس وحوافز تبدو له حقيقية لكنها غير موجودة في الواقع ،فهي إحساس كاذب ناتج عن الخوف الشديد .[3]

إنَّ تلك الكوابيس هي إحدى أهم العوامل التي تجعل المريض يصاب بالرهاب من الأشياء الموجودة حوله كلها ولا يستطيع التعايش معها فيصاب بالقلق والعزلة والأرق الشديد ،إذ أن غيابه المؤقت عن الوعي سيجعله ضحية كابوس ثقيل ،لذا فإن العقل الباطني سيتغلب على مركز التفكير ،بصورة أخرى إن مخزون الماضي سيزيح رهان الحاضر وستفلت (الأنا) التي تمثل السلوك النفسي من قيد (الأنا العليا) التي تمثل الجانب الأخلاقي والاجتماعي (الجانب الرقابي) أو ما نسميه في المخيلة الشعبية بالضمير، وقد كان (فرويد) يرى أن الأحلام وسيلة من وسائل الإشباع لرغبات الإنسان التي تكون عصية التحقيق في الواقع ،لكنه عدل

---

[1] -م .ن : ٤٢ -٤٣

[2] - م.ن : ١١٩

[3] - ينظر ،أصول الطب النفساني: ٤٨

عن رأيه عندما اكتشف ما يعرف بحالات (عصاب الصدمة) فهي حالات مؤلمة يصاب بها المريض فيعود إلى أحلامه ليتذكر الموقف المؤلم الذي حدث له في الواقع [١].

وهذا ما أدى تحطيم شخصية (مالح)وانهيارها فجعلته يتعرض لمخاوف شديدة ومتكررة مما يحمله على التبول في فراشه وهي حالة مرضية مصاحبة لمخاوف الشخص من الأشياء المجهولة التي تراوده في منامه أو أثناء تعرضه لصدمة عصبية عنيفة، " **قضى الليل كله مشدود الوثاق ،لم يعد يعرف كيف ينام ،صفعة متوسطة المدى أنهضته ، عرف ...بال على نفسه .. خجل كبير ينخله ،رغب الموت في تلك اللحظة**"[٢]

ب_الرؤية الضبابية /البصرية للأشياء:

عادة ما ترى الشخصية المفزوعة أشياءً على غير طبيعتها ،أو تتخيلها عدوةً لها أو قاتلة ومن ثمّ ترى كل شيء أشباحاً تطاردها ،وهذا نوع من الوسواس القهري الذي يفتك بها ،وشخصية (النقيب مالح) وهي على سرير المرض تفقد أي إحساس بالزمان أو المكان ،ترى الأشياء مُخاتِلة هُلامية غير واضحة ، وتتبع تلك الرؤية من متراكمات قديمة مختزنة في اللاشعور الذي تحدث عنه (فرويد) ،وتساعد الطبيعة وتقلباتها والأصوات الصادرة عنها في ضبابية الرؤية ،ويؤدي الظلام الدور الكبير في إثارة الفزع ،إذ أن حجب الصورة عن العين وعدم وصولها إلى مركز العقل لتفسيرها بصريا أو صُوَرِيّاً بما يلائم طبيعتها يجعل منطقة اللاشعور تُشكل صوراً متخيلة متفاوتة بحسب مخيلة الشخصية ومخزونها القديم عن تلك الأشياء وهو ابتعاد عن مركز اللوغوس وتشويش له أو تعطيله مؤقتاً ، فتكوّن صوراً مخيفة مرعبة لتلك الشخصيات العُصابية لاسيما مع اقترانها بصور ذكريات مؤلمة حقيقية حدثت لها في الماضي البعيد أو القريب ،فهاجس الخوف من المجهول هو من يُنشئ تلك الصور السلبية ، " ومعنى ذلك أن الإدراك قد يشكل إطاره مسبقاً بفعل تجارب سابقة جعلت أي رمز سلطوي متحكم يمسك بقدرات الراوي المتصدع يثير المشاعر العدوانية السلبية التي ارتبطت بالصورة القديمة" [٣] ، لذا كانت رؤية (مالح) البصرية مشوشة وفيها إسقاط لذكريات الماضي ،فالحجرة الضيقة التي وضع فيها في إحدى المستشفيات وبابها الموصد يذكره بزنازين السجن وصرير أبوابها ،فيرى غرفته سجناً كئيباً ، ويرى الأطباء سجانين يحملون العصي

---

[١] - ينظر، المدخل الى نظرية النقد النفسي _سيكولوجية الصورة الشعرية في نقد العقاد (نموذجا)_ زين الدين المختاري،منشورات إتحاد الكتاب العرب، دمشق ،١٩٩٨ :١٠

[٢] - الرواية : ١٢٧ -١٢٨

[٣] - إغماض العينين المميت -دراسات في أدب لؤي حمزة عباس القصصي ،د. حسين سرمك،دار الينابيع، دمشق ط١ ٢٠١٠: ١١١

والسياط،وهم مستعدون لضربه متى شاءوا، وبهذا تتكمش هذه الشخصية على نفسها وتحس بالاستلاب والتقهقر ،" **في محجر صحي خاص وجد نفسه ،لم تنفعه خدماته المتازة** ....، **رتبته العسكرية صارت علبة معدنية** ...**صدئة لا تنفع ، غرفة لا تبدو لائقة ،فراش عادي ،عفن ،رائحة بول متخثر يتصاعد منه ،عليه انتظار معول القدر ،عميقاً سيضرب ،يموت كحمار في مزبلة**...**يأتيه شخص يومياً ،صباحاً يأتي،مساءً يأتي، يحقنه بمصل مريح** .." [1]، فالفضاء المكاني استحال قبراً ضاقت به نفسه . وتتجلى الرؤية الضبابية أكثر عندما يعتقد (مالح) –أو هكذا يرى_ أن الخطر قادم من الجندي البسيط الذي يحرسه فيرى أي أداة هي عصا خصصت لضربه ، ويرى الأشياء المتدلية سلاسل حديدية، وهكذا تتحول كينونة الأشياء من الاستخدام الطبي أو السلمي إلى الاستخدام التعسفي ويراها أداةً من أدوات التعذيب التي استخدمها ضد ضحاياه ، فيرى ذلك الحارس شبحا ثقيلا يخيم على المكان الضيق الذي احتواه ، " **جندي اسمر غليظ النظر يقف عند رأسه** ...**وجد الجندي ينسحب** ... **بيده سلسلة صدئة ،بيده الأخرى أنبوب مطاطي بطول ذراع ،عرف ، قدم يعمل شيئا ما، جاء يربطه بالسلسة ويطعم جسده بفلقة ساخنة بالأنبوب المطاطي**" [2].

وتتصف هذه النوعية من الشخصيات بما يعرف بـ ***(الثنائية التضادية)*** ، فتلك القوة كلها التي ظهرت عليها قابلها انكسار وضعف ، وتفسر هذه الحالة على أنها الرجوع مرة أخرى إلى الذات أو يقظة الضمير ، فشخصية قاسية مثل (مالح) نجدها أحيانا مستسلمة لعاطفتها فهو مثلا يتبرع بدمه لعدوه/أخيه اللدود (الملا صالح) ولايعرف السبب ، بل يحتار في الإجابة على الأسئلة التي تراوده" **-أضخ من دمي في جسد عدوي** . **وقف النقيب** (**مالح**) **مكتوف الحول لايعرف كيف يتصرف،أسرَّ في نفسه** : **ليت أعرف لمَ أضعف أمام هذا الكائن اللدود**[3] . وتعرف دموع الندم أول طريق لها في مآقي (مالح) لكن بعد فوات الأوان عندما يلتقي بأخيه الذي لا يعرفه (الملا صالح) وأخيه الآخر (الغجري فالح) وهم في احتضارهم ،فيطلب (مالح) من أخيه (الملا صالح) المعذرة والغفران قبل رحيلهم الأبدي ، ويدور الحوار الآتي :

" **-هذا لقاء آخر بيننا ،**

_ ربما هو اللقاء الأخير

- **اشعر انه اللقاء الأخير، على المرء أن لا يرحل عن هذه الدنيا وعلى كتفيه أوزار كبيرة**
- **ليس هذا أوان خطبة يا مولانا**

---

[1] -الرواية : ١٢٦ -١٢٧

[2] - م.ن : ١٢٠

[3] - م.ن : ٨٨

- **أنت عذبتني كثيرا**
- **لم تكن بمشيئتي ،عشت تحت ظروف قاهرة**
- **حين علمت انك أعطيتني من دمك غفرت لك**
- **لم تكن تستحق عذابي**
- **لنرحل بسلام ليس بيننا خصومات ننقلها معنا إلى عالمنا الآخر.**

رأى (الملا) كيف دمعت عينا النقيب (مالح) أشفق عليه ، أزاح الضابط دموعه تمتم:

- **سامحني عشت من غير أب ولا أم .**

سكت الملا شعر بنعاس يغشاه ،كان الوباء يضغط نام عميقا نام ،لم ينهض بعد نومه" [1]

إن هذه الازدواجية فكرتها قديمة ،فالخير والشر يصوران على أنهما قيمتان خارجيتان، ويختار الإنسان أحدهما ليصبح خيرا أو شريرا ، وقد يجمع بينهما بحسب فلسفته الخاصة بمفهومهما وربما تقاس على النسبية ومدى الإدراك لها ، " أما الآن في ضوء العلوم الحديثة لم يعد (الخير والشر) قيمة خارجية ... فكل إنسان لا يحقق الخير النموذجي حين يتغلب على قوى الشر ،كما أنه لا يحارب شراً نموذجيا حين يسعى لتحقيق الخير "[2].إذ أدت هذه القوى المتنازعة إلى ظهور شخصية (مالح) بهذه الصورة المتفاوتة ،هي مزيج من معطيات الماضي وذخيرة الحاضر.

٢_ السلطة الدينية:

يمثل (الملا صالح) هذه السلطة التي تنظم العلاقة بين الإنسان وبين التعاليم السماوية ،وهي الصوت الوحيد المناهض لسلطة القمع ،لذا نجدها في صراع مستمر معها ، ومن ثَمَّ عليها أن تتحمل تلك السلطة ووحشيّتها ،وأول شيء يفعله (الملا صالح) محاربة الأوضاع الاجتماعية والسياسية الفاسدة وإقامة الصلاح لأنه يرى أنَّ مهمته الدينية تحتم عليه ذلك ،وقد مثلت بهذا الجانب الروحي ضد مادية الحياة وشهواتها ،وهي تمثل قيماً متوارثة ملاصقة للأعراف والتقاليد الاجتماعية فالأولى سابقة والثانية موازية لها أو تتأخر عليها لكنهما يشكلان قوة مقدسة يخضع لها الجميع بحكم الفطرة والموروث القديم ،كما يمثل الدين سلطة مستقلة تفوق سلطات المؤسسات المدنية لأنه نابع من ضمير الأفراد ،أما عن العلاقة بين الدين والسلطة فهي إما متصالحة أو متضادة بحسب الفكر الذي تتبناه السلطة ،وربما تحاول السلطة أحيانا توظيف الدين لصالحها لمعرفتها مدى التأثير الخلاّق الذي يتركه في نفوس الآخرين ،

---

[1] -الرواية :٢١٦ -٢١٧

[2] - التفسير النفسي للأدب ،د. عزالدين إسماعيل ،دار العودة ودار الثقافة ،بيروت، ١٩٦٣: ١٦٥

فتعتمد أحياناً خطاباً إسلامياً ذرائعياً توظفه لصالحها ويخدم سياستها لاسيما عند تعرضها لأي تهديد خارجي [١] .

تتخذ هذه السلطة عدة أوجه للدفاع عن تعاليمها تجاه السلطة القمعية ،ويُظهِر الراوي عدائية (النقيب مالح) الذي يمثل الذراع القمعي القوي تجاه رجل الدين (الملا صالح) بدوافع إيديولوجية لكون المؤسسة الرسمية في حالة حرب وتحتاج إلى الدين للدعوة إلى التضامن معها والدفاع عنها ،وهذا يعني تحويل الصراع السياسي إلى صراع حضاري أو عقائدي ،ويتطلب ذلك تهيئة الأجواء لتقبل فكرة الدفاع عن القيم الحضارية والقيم الدينية ،وعندما لم يستجب (الملا صالح) لهذه الأوامر أبدلته برجل آخر ليكون الناطق الرسمي لتلك المؤسسة والمدافع عنها ، ومن ثَمَّ يكون خاضعا لسلطة (النقيب مالح) بل عليه أن يوظف الخطب الدينية للدفاع عن السلطة ،وعلى الرغم من امتعاض (الملا الجديد)لهذا إلا انه وجد نفسه محاصرا بين سلطة (مالح) وسلطة الضمير ،وفي الوقت ذاته ترى السلطة القمعية أن (مالح) خير من يقوم بهذه المهمة فضلاً عن مهماته الأخرى فهو " **يعمل بهمة ونشاط ،غايته المثلى فرض القانون بكل تشعباته في البلدة ،.... إطاعته واجبة على كل ذكر وأنثى ،كلام ظل يردده الملا الجديد في خطبته على مضض ،تم الاتفاق عليه** "[٢] .

وفي الوقت ذاته تحاول السلطة الدينية ربط الأحداث التي تمر بها بلدة (جلبلاء) بترك أهاليها للتعاليم الدينية الروحانية واللهاث وراء ماديات الحياة وشهوة الأنفس ،" **كلام حفظوه من ملا البلدة (صالح) في مناسبات معادة ،عرفوا، السماء حين تبكي لابد من وجود خروقات أرضية يحدثها بشر عاصٍ ،مذنبون لا يتوبون ،فيغضب الله في ملكوته ،قبل أن يأمر ملائكته بعقاب جماعي، يأتي الماء بلا رحمة لغسل القذارة الخارقة للفطرة والناسفة أحكام الشريعة عند الناس**" [٣].

ثنائية الحضور/الغياب: (الملا صالح)

نتيجة التعسف والحرب الذي تتعرض له السلطة الدينية ممثلة بشخصية (الملا صالح) وحالة الاغتراب الذي تعيشه تلك الشخصية تضطر إلى الاختفاء والتلاشي عن الأنظار بشكل مفاجئ لتبدأ حالة تسامي أخرى مع السماء وتدخل في صوفية ذاتية في مكان ما ، فتتقوقع على نفسها منهية بذلك فترات طويلة من التصادم مع السلطة القمعية لتبدأ نزاعاً ذاتياً مع نفسها ومحاسبتها للوصول إلى الرؤية القبلية والحدسية في التعامل مع الأشياء واستكناه النفس الإنسانية، يجري كل ذلك في محاولة للوصول إلى الحقيقة . وتتشكل صورة المتصوف في

---

[١] - ينظر ،نقد السياسة والدين ،برهان غليون ،المؤسسة العربية للدراسات والنشر،بيروت، ط٢ ١٩٩٣:٢٩٦

[٢] - الرواية : ٦٦ -٦٧

[٣] -م.ن : ٩

الذاكرة على انه شخصية زاهدة منصرفة عن اللذات وشهوات النفس ،ولا تبحث عن جاه الدنيا أو المراتب السلطوية وتحاول الانعزال والتماهي مع الروحانيات ونبذ الماديات لتصل إلى الحقيقة وكشف الأسرار ،وبهذا تكون وسيلة أخرى للوصول إلى اختراق الحاجز الذي وقفت عنده النظريات العلمية المادية ، إذ " تم طرح الصوفية حلا للخلاص من الظلم والشر والاستغلال"[1] ، وذلك ما ينطبق على شخصية (الملا صالح) الذي زهد بكل شيء وترك أهواءه بعد أن درب نفسه تدريباً قاسياً ولم يقترب من مفاسد الدنيا التي حلت ببلدته، بل انه لم يأخذ معه في عزلته إلا بعض الخبز الأسمر والتمر وكلباً يحرسه.

وتأخذ مسألة **الاختفاء/ الظهور** دلالة أكبر من كونها تورياً عن الأنظار أو تصوفاً ، فتنحو منحى دينياً عقدياً بفعل ما تتناقله الألسن عن اختفاء الشيخ الغامض وانكفائه بعيداً ،فينسجون قصصاً مؤسطرة حول ذلك الغياب الرباني وأن قوة خارقة أخذته لتلقي عليه تعاليم جديدة ،ومن ثَمَّ ليعاود الظهور كرة أخرى لإصلاح الرعية بعد أن ينتقم من جلاديه ،ويملأ البلاد قسطا وعدلا بعد جور وظلم ،وهذا الاعتقاد كان (الملا صالح) يومئ به أحيانا ، فقد كان يرد على منتقديه ومواجهته للسلطة : " **-أؤدي ما عليَّ من واجب شرعي . واجبه الدنيوي كما يصرح دائما ،إشاعة السلام ،نفح نسيم المحبة ، وتصحيح مسارات الغافلين**"[2].لذا حين غاب فجأة عن البلدة أحدث ضجة كبيرة :أين اختفى ولمَ هذا الاختفاء المفاجئ ، " **شاع في البلدة، الملا صالح) اختفى ،بعد خروج الرجال من الزنزانات فهو لم يغادر البلدة ،سكن في بيت ملاصق للجامع ،واصل قيادة الجموع المؤمنة في الأوقات الخمسة قبل أن ينفك الجمع ،ويتحول إلى أنفار في أواخر العمر ،يريدون نهاية سعيدة ،موت آمن وعذاب خفيف**"[3]، فقد تحول هذا الاختفاء إلى خوف من المجهول والتهيؤ لاستقبال عذاب آخر ،تلك النظرة التشاؤمية أصبحت ركناً أساسياً من تركيبة أهالي البلدة بفعل التراكمات السابقة والحكايات القديمة الراسخة في الأذهان عن حلول العذاب بالأقوام التي خالفت أنبياءها فأهلكهم الله(عزَّ وجل) بالطوفان أو الصيحة أو الرياح العاتية أو سلط عليهم أقواماً جبارين ساموهم سوء العذاب ،تلك القصص سمعوها من ملا البلدة (صالح) في خطبه ونصحه لقومه، وعزز تلك النظرة ظهور العلامات الدنيوية وآيات العذاب (القحط ،الطوفان، الرياح،الفتن، الجثث المجهولة، المفاسد ، القمع السلطوي).

---

[1] - توظيف التراث في الرواية العربية المعاصرة ،د.محمد رياض وتار،منشورات اتحاد الكتاب العرب،دمشق،٢٠٠٢ :١١٣

[2] - الرواية :١٦

[3] - م. ن : ٢٧

ويمكن تأويل حالة الانكفاء التي حدثت (للملا صالح) تأويلا تناصياً ذا مرجعيات دينية يحاكي قصة أهل الكهف التي وردت في القرآن الكريم ولجوئهم إلى أحد الكهوف هرباً من بطش ملكهم ،فلجوء (الملا صالح) مع كلبه الأعمى وانعزاله عن الدنيا ومن ثَمَّ عودته إلى البلدة بعد افتضاح أمره يؤشر لنا حالة التوحد مع القصة القرآنية وكما تظهر في الوحدات السردية الآتية ،ويجري ذلك بالاستناد إلى الوظائف (functions) التي تُسند إلى الشخصيات بعيداً عن مسمياتها بحسب تعبير رولان بارت [1]:

* - هروب الفتية إلى الكهف مع كلبهم ونومهم لمدة معلومة يقابله هروب (الملا صالح) مع كلبه الأعمى واختفائه لفترة حددت لها مخيلة أهل بلدته بقرن كامل،" **الشائعات في (جلبلاى) مثل النار تخمد وتتأجج ،أعادت سيرة (الملا) إلى سطح الأرض ،منهم من جهر:ـ الملا (صالح) دخل الغار ليستغفر ربه كي يمحي خطيئته الكبرى،منهم من وجد :ـ دخوله الكهف ،محاولة نوم قرن كامل كي يعود ويجد غريمه (مالح) ميتاً** "[2]،وتفسير العمى له دلالته الرمزية الواضحة في مفارقة الرؤية /التعمية ،فالأعمى يرى ويحرس ويستبصر الأشياء أفضل من المبصر،" **كان الكلب الذي مزقوه بالحراب ولم يحرك ساكنا سوى التوسل والأنين ،تبين انه كلب أعمى**"[3]

** - ذهاب فتية الكهف لشراء الطعام بأوراقهم القديمة وعودتهم إلى مدينة(دوقيانوس) يقابلها عودة الملا صالح إلى مدينة(جلبلاء) وشرائه الطعام (الخبز والتمر) ومن ثَمَّ انكشاف سره " **احدهم راح يركض ...انتظر نصف ساعة قبل أن يتهالك الشرطي الراكض بين أقدامه: سيدي وجدناه في الكهف**"[4].

ويمكننا أن نفسر ذلك الغياب بأنه نوع من الهروب نتيجة الخوف والقمع الذي مارسته السلطة ،فكان الاختفاء ملاذاً آمناً لكنه لم يلبث طويلا ،فالأقدار شاءت أن يعود (الملا صالح) ليقابل شقيقه الآخر (فالح) الذي مثل السلطة الإنسانية ،سلطة الدنيا وشهواتها.

٣ـ السلطة الإنسانية/ شخصية (الغجري فالح)، المسكوت عنه:

تمارس هذه السلطة دوراً مركباً ،فهي من جهة تتحمل الآثار الناجمة عن السلطة القمعية بإشغالها بحروب جانبية والسيطرة على حركتها وإخضاعها وامتهان إنسانيتها ،ومن جانب آخر تمارس هذه السلطة الإنسانية سيطرتها ونفوذها وفرض ثقافتها على الآخر

---

[1] -مدخل إلى التحليل البنيوي للقصص،رولان بارت تر:منذر عياشي ،دار النماء الحضاري ،حلب ط١ ١٩٩٣ : ٣٩

[2] - الرواية: ٧

[3] - م.ن: ٧٤-٧٥

[4] -الرواية : ٦٩

واصطدامها مع السلطة الدينية وتعاليمها . يمثل (الغجر وراقصهم فالح) _أولئك الوافدون من أماكن بعيدة_ المفصل الرئيس لتلك السلطة التي تنشر عاداتها ولهوها في مدينة (جلبلاء) وتمارس تخديراً جماعياً لسكان البلدة بمساندة السلطة القمعية وتأييدها التي تراها أداة مناسبة للسيطرة على العقول وإشغالهم عن التفكير وبذلك تكون خاضعة لسلطة (النقيب مالح)فهي مستوطنة قي ارض لا تملكها ومعزولة في بيوت من الصفيح ولا تعطي سرها لأحد ،عالم داخلي غامض لا يتكلم كثيراً مهنته الأولى الرقص واللهو، فيه جانب إنساني وعاطفة وقادة ، راقصهم (فالح) البارع في خفته وحركاته أخرس ،ساكت عن قول كل شيء وهي إشارة واضحة لخضوع تلك النفس الإنسانية للقهر السلطوي أو التفوّه بأشياء كثيرة تعد من المحرمات لذا تفضل الصمت ولا تتكلم لتكون طاقة كامنة متفجرة مستعدة للبوح بأشياء كثيرة إذا ما رأت الفرصة سانحة لها وهي تمثل الخزين الإنساني بتلويناته وتناقضاته كلها ،فالمسكوت عنه داخلها أكثر مما تبوح به ،فهي مراقبة للأحداث وتخزن الكثير منها ،تعبر عن كلامها بانفعالاتها وعواطفها لهذا تظهر شخصية حميمة تلقى الإعجاب من الجميع.

تظهر شخصية (فالح) بعجائبية تتشكل بخفة ورشاقة ،شخصية مطاطية تنفذ كل شيء يُطلب منها ،تتلون بألوان شتى،تمارس رقصاتها الشعبية بحرفية كاملة،" **رجل عجيب يتقافز في الهواء ،يحط كما يحط الطائر بخفة على الأرض ،يمسك بيده منديلا أحمر ،يرفرفه بكفه أثناء التحليق وسط طبول تواصل القرع ،تضج العزيمة في جسده المرن**"[1].

وتبدو علاقة هذه السلطة مع السلطتين القمعية والدينية متشابكة، فهي في خصام مع سلطة الدين التي تراها فاسدة وإحدى علامات الساعة التي بسببها سوف تعاقب البلدة مرة أخرى ،كما تحملها مسؤولية ضياع شباب البلدة وانصياعهم لرغباتهم الدنيوية وتركهم للتعاليم السماوية ،بل هي أداة أخرى من أدوات القمع السلطوي، لذلك توفر لها الأخيرة الحماية ،لكن سلطة الدين تقاوم ذلك النفوذ وتعمل على تأجيج سكان البلدة ضدها لطردهم خارج البلدة متى ما سنحت الفرصة لذلك ،وفي الوقت ذاته تجد السلطة الإنسانية نفسها تنفذ رغبات السلطة القمعية ،فهي أسيرة للسلطتين، وعزلهم داخل الأسوار العالية ماهو إلا جزء من الرهاب الداخلي الذي زُرع في نفوسهم وتكوّن في مخيلتهم مما يدفعهم إلى الرحيل المستمر والعيش بحالة عدم الاستقرار التي شكلت لديهم قلقاً وتخلخلاً في المنظومة الاجتماعية التي ينتمون إليها، " **وصلت القافلة مساحة أرض منبسطة تلاصق السوق الوحيد للبلدة ،حطوا خيامهم ،عملوا سياجاً صفيحياً حولهم** [2] . ويبدو القلق متبادلاً ،فقد حفظ أهالي (جلبلاء) في ذاكرتهم أن الغجر وباء يأتي بأزمان متفاوتة ويحرص الأهالي على نبذهم أو طردهم ،" **قبل ثلاثين**

---

[1] -م.ن: ١٨

[2] -الرواية :١٣

عاما بالتمام والكمال حطت أقوام في تلك الرقعة المنبسطة ،في البدء استقبلهم الناس برحابة صدر كبير ...قبل ان تشيع شائعة ضيعت شمائلهم ....، وجدوا شبانهم ينسلون إلى بيوتهم نهارا ،تقام حفلات انس ومجون ،انهالوا عليهم في صيحة يوم مشهود بمطر حجر ،احرقوا بيوتهم ....لحظتها قرر (الضيوف) هجرة البلد"[1].

وتمارس سلطة الغجر أيضا (قمعها التغييبي) في نشر المفاسد والأدوية المخدرة ،فتتصدى لها السلطة الدينية وتدخل معها في صراع آخر محاولة التذكير بعذاب الكبائر وأنها السبب في حدوث المصائب على البلدة ،" **نساء وجدن الحالة تغييراً حداثياً في إستراتيجية حياتهن ،سأمن عطر البلادة ،...آن أوان التحرر ،...الرجال وقفوا منتصف الخط، ...يهرعون إلى (ملا) البلدة يجدونه يواصل الحديث عن فتنة قائمة،حرب سماوية قادمة ستغربل الدنيا،يصحح (ملا) البلدة عبارته الأخيرة (ستغربل البلدة) ."[2]**

ويأخذ هاجس الخوف لدى الغجر أشده عندما تبدأ الأحداث بالتصاعد وتتحقق مخاوفهم في قتلهم وتسميم مياههم وماشيتهم ،ومن هنا تبدأ نقطة التحول ،تحالف الغجر مع السلطة القمعية لالتقاء المصالح ،" **أفاق الغجر صبيحة اليوم السابع على (إسهال شديد) تلوّت أجسادهم ،يتصايحون ،...هبط رجال الشرطة غاصين من مركباتهم ،للّهردوا الناس إلى مسافات آمنة قبل أن يطلب النقيب (مالح) حالة الطوارئ (حظر التجوال) ،... ضيوف البلدة أصيبوا بإسهال شديد جراء تسمم غريب ...مات جمع كبير ،قدرت الأجداث الخارجة بنحو عشر جثث،وفي ليلة ذلك النهار مات ستة آخرون ..."[3] .**

ويبرز صراع آخر، صراع حضاري بين قيم تراثية ثابتة ترفض التجدد ذات صبغة قدسية في الذاكرة لا تحتمل التغيير أو المجادلة توارثتها الأجيال وحفظوها رهبةً منها وتشبثوا فيها خوفاً من القادم الجديد ومن عقاب عدم الحفاظ عليها ،هكذا سمعوا من أجدادهم ، وبين فئة أخرى تدعو للتجدد ومواكبة العصر ،إذ يحمل هذا الجديد أفكارا غريبة لم تألفها ذاكرتهم ، فيه إعمال العقل والتفكر المنطقي،ويأخذ هذا الصراع بين الماضي (التراث)والحاضر (العقل) منحى جدلياً لا يروق للطرف الأول :" **تحدث (الملا) الجديد كثيرا ،كلماته جديدة على المخ، تعاليمه محيرة تضبب الرؤية ،وجدت العقول أنها في صراع جديد بين ماضٍ ملغي بقرار سلطوي ،وحاضر مرتبك غير مفهوم ...جلسوا بائسين ،.. شاب (يلخبط) عليهم دينهم ...جلسوا يتباحثون فيما سمعوا ،تحول النقاش إلى تلاسن تطور إلى عراك أيدي وضرب سكاكين بين فئات تتمسك بتراث الآباء وفئات وجدت التجديد مطلبا تاريخيا ....من اجل**

---

[1] -م .ن :١٥

[2] -م .ن :١٨-١٩

[3] -م.ن : ٢٠-٢٢

الخروج من شرنقة الظلم "[1] فعدم قبول الوافد لم يكن سوى المس بقدسية الأول الذي جُبِل على الخضوع له والخوف من تغييره.

ثانياً(النهاية) نهاية الطوفان... السلطات الثلاث وسخرية القدر:

أفرز الصراع الدائر بين السلطات الثلاث أنموذجاً حياً وسائداً للنهاية السلطوية التي تأكل بعضها مخلفة تراكمات تورثها الأجيال وتصبح جزءاً من الذاكرة القبلية وتشكل التاريخ البشري بتلويناته المختلفة . يكشف الراوي في نهاية قصه السردي عن ثيمة الصراع والتصادم الذي أثار الهلع في بلدة(جلبلاء) ،تلك البلدة التي لها استعدادات فطرية ورحم حاضن لولادة ذلك الصراع والتصادم ،فالمحور الرئيس شخصية قصته أقرب إلى الأسطورة (صائد الخنازير) ذلك الرجل الذي عبثت به أقدار السياسة القمعية ،إذ اضطرته أهواء نفسه والتجاذبات الحضارية إلى الزواج من امرأة يهودية ،ثم تخليها عن أطفالها الثلاثة بعدما هاجرت إلى أرضها الموعودة بقرار سياسي وهو بعيد عنها يلهو بصيد الخنازير في البرية ، فقد تناثر الأطفال في البلاد ليجتمعوا مرة أخرى في نقطة تلاقي ساخنة(جلبلاء) غرباء، فرقتهم الأقدار وجمعتهم أهواؤهم وسلطاتهم بتنويعاتها كافة ، " **كانت الحكومة في تلك الأيام تطهر تراب البلاد من الجاليات اليهودية ،في حملة شعواء بعدما أشيع أنهم يتجسسون لصالح (إسرائيل)** " [2] . وتأتي من هذه الثيمة رمزية العنونة(أولاد اليهودية) ،إذ تدعو إلى التوقف وإثارة الأسئلة التي تدفعنا إلى التأويل القرآني لقصص اليهود مع أنبيائهم وكيف شتتهم الله تعالى في الصحراء أربعين سنة غضباً وعقاباً لهم على أفعالهم ،وهذا الشتات والعودة مرة أخرى جعلهم بتلك الصورة التي أوسمهم الله بها.

لم يعرف الأخوة الثلاثة والدهم (أبو سمرة) الذي حط الترحال في بلدتهم ،وكان تاجراً مرموقاً لا يعرف له ماضٍ سوى أنه صائد خنازير تغنت البلدة بشجاعته ونسجت حوله الحكايات الأسطورية ،لم تقتله فرائسه ،إنما قتله اغترابه في رحلة البحث عن أولاده وعن الانتماء ،لم يعثر عليهم ولم يعرف أنهم سيرقدون معه جثثاً باردة جمعتهم عبارة التقاء واحدة: " **هنا يرقد ..الملا صالح والغجري فالح والنقيب مالح ،غرباء سكنوا البلدة ،ماتوا غرباء فيها . أمام تلك الشاهدة** ، (**شاهدة**) **قبر وحيد كتب عليها :هنا يرقد صائد الخنازير ،أبو سمرة .جاء غريبا إلى البلدة ،مات بداء غريب**) "[3]

---

[1] - الرواية :٤٦ -٤٧

[2] -م.ن: ١٩٧

[3] - م .ن: ٢١٨

خاتمة البحث:

توصل البحث إلى النتائج الآتية:

* - شكل محور الخوف عاملا أساسيا هيمن على سلوك الشخصيات وحدد ردود أفعالها تجاه الآخر ، وكان ذلك الخوف نابعا من تراكمات نفسية قديمة ،إذ ارتبط كل حادث آني بذكريات الماضي الأليمة ،وعزز ذلك الرهاب اقتران الحوادث بالأساطير والخرافات القديمة التي كانت تسمعها الشخصيات من عجائز القرية.

* - أدى المكان دورا كبيرا في زيادة رهاب الشخصيات ،إذ شكل حيزا فضائيا ضيّقا وقاتما على الرغم من سعته وانفتاحه ،وأدى ذلك إلى بطء الزمن النفسي وثقله على شخصيات الرواية وشعورهم بسطوته وتوقفه أحيانا.

* - تميزت الشخصيات عموما بالتناقض لاسيما شخصية (مالح) إذ بدا عليها الانفصام ،فقد ظهرت قوية ومتسلطة وقاسية ،لكنها سرعان ما تهاوت وتلاشت وظهر عجزها .

* - لعبت الأقدار دورا مهما في تحريك الأحداث الروائية ،إذ كانت البطل الحقيقي أو الشخصية الرئيسة في العمل ،فقد جمعت الأخوة الثلاثة في نقطة واحدة ومن ثَمَّ تفجر الصراع بينهم وانتهوا جميعا بالموت.

* - استطاع الراوي لملمة الأحداث بصورة محكمة ،وكانت النهاية منطقية تناسب حركية الأفعال والأحداث ،فلم نجد عنصر المفاجأة أو كسرا لأفق توقع القارئ.

قائمة المصادر والمراجع:

أولا- المصادر:

* - أولاد اليهودية ،تحسين كرمياني ، الرواية الحائزة على المرتبة الثانية في مسابقة الكلمة الثقافية مصر (جائزة نجيب محفوظ) الدورة الثانية ٢٠١٠ الصادرة عن دار تموز ودار رند – دمشق .

ثانيا- المراجع :

* - أصول الطب النفساني، د.فخري الدباغ ،مؤسسة دار الكتب،جامعة الموصل ط٢ ١٩٧٧

* - إغماض العينين المميت -دراسات في أدب لؤي حمزة عباس القصصي ،د. حسين سرمك،دار الينابيع ،دمشق ط١ ٢٠١٠

* -التحليل النفسي والفرودية الجديدة ،فاليري ليبين ، تر:نزار عيون السود،دار الوثبة ، دمشق، (د.ت).

* - التفسير النفسي للأدب ،د. عزالدين إسماعيل ،دار العودة ودار الثقافة ،بيروت ١٩٦٣

* - توظيف التراث في الرواية العربية المعاصرة ،د.محمد رياض وتار،منشورات اتحاد

الكتاب العرب،دمشق،٢٠٠٢

* - الجريمة والمجتمع ،زكريا إبراهيم ،مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، ١٩٥٨ .

* - الشخصية في ضوء التحليل النفسي ،فيصل عباس ،دار المسيرة، بيروت١٩٨٢.

* - مدخل إلى التحليل البنيوي للقصص،رولان بارت تر:منذر عياشي ،دار النماء الحضاري حلب ط١ ١٩٩٣.

* - المدخل إلى نظرية النقد النفسي –سيكولوجية الصورة الشعرية في نقد العقاد (نموذجا) زين الدين المختاري_منشورات اتحاد الكتاب العرب ١٩٩٨ دمشق

* - المذاهب النقدية –دراسة وتطبيق -د. عمر الطالب،دار الكتب للطباعة والنشر،الموصل،١٩٩٣

* -مضمون الأسطورة في الفكر العربي ،د. خليل أحمد خليل ،دار الطليعة،بيروت،ط٢ ١٩٨٠

* - نقد السياسة والدين ،برهان غليون ،المؤسسة العربية للدراسات والنشر ط٢ ١٩٩٣

ثالثاً الأنترنت:

* -الفوبيا .عن الموقع الالكتروني:www.ar.wikpedia.org\wiki

This document was created with Win2PDF available at http://www.daneprairie.com.
The unregistered version of Win2PDF is for evaluation or non-commercial use only.